لماذا التوحيد ..

للأستاذ الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي
الرئيس العام للجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

والكلام في توحيد الأسماء والصفات يحتاج إلى مجلدات حتى يتاح لأى كاتب يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره أن يسطر ما يفتح الله به عليه كلما أنعم النظر فى اسم من أسماء الله الحسنى، أو صفة من صفاته سبحانه .

وخلاصة القول في هذا القسم من أقسام التوحيد أنه ضرورة إيمانية لكل مسلم حتى يحسن إسلامه ويقوى إيمانه ، ولأن التعرف على الله أمر لازم للمسلم ولا يمكن التعرف عليه سبحانه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته المثلى .

وفيما يلى بيان للمعانى الجليلة المتبادرة من بعض أسماء الله جل شانه :

١ — الله — لفظ الجلالة علم على الذات الإلهية المقدسة الواجبة الوجود المستحقة جميع المحامد .

٢ — الرحمن — صفة لذات الله تعالى، وهذا الاسم الجليل لا يطلق إلا على الله سبحانه ولا يطلق على سواه ، وفيه يقول الله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) ، ومن آثارها الرحمة ينزلها الله على من يشاء من عباده ، وسورة الرحمن تعدد النعم التى هى أثر من آثار هذا الاسم الكريم فيقول الله تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان) فهو اسم يدل على اتصاف الله سبحانه بالرحمة الواسعة التي لا حد لها .

أما اسمه الرحيم فهو صفة فعل فإذا نزلت الرحمة منه على عباده فهو الرحيم، وهو يدل على ما يناله المخلوق من إنس وجن وملائكة ومن حيوان وطير وكل كائن حى من رحمته تعالى،

فالرحمن دال على صفته سبحانه . والرحيم يدل على أنه يرحم خلقه ، وفى هذا يقول الله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) وقد يطلق هذا الاسم على بعض الخلق كما قال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) .

وقد ورد هذا الاسم الكريم (الرحيم) ثمانية وتسعين مرة فى القرآن الكريم ، منها ٧٣ مرة مقرونا باسم الغفور وثمانى مرات مع اسم الرءوف .

وعلى الرغم من ذلك يلجأ الناس إلى الموتى من دون الله يطلبون منهم بركة ، ويلتمسون منهم رحمة مع أنهم قد أرموا - يعنى أصبحوا رمما - لا يسمعون ولا يبصرون ولا يشعرون أيان يبعثون .

٣ - الحى - الدائم الحياة ، ولذلك يقول الله لأولئك الذين يعتزون بغير الله من أصحاب السلطان أو ذوى الوجاهة أو الجاه ويسترضونهم بسخط الله يقول تعالى (وتوكل على الحى الذى لا يموت) والحياة صفة من صفات الكمال .

ولذلك نجد أن النبات أعلى رتبة من الجماد لأنه يتصف ببعض صفات الحياة كالنمو والاخضرار والازدهار ، ونعلم أن الحيوان أعلى رتبة من النبات لأن مظاهر الحياة فيه أرقى منها فى النبات ويرقى الإنسان فوق الجماد، والنبات والحيوان بما يمتاز به من مظاهر الحياة السامية من إرادة وفكر وعقل وتدبير والله الحى هو صاحب الكمال المطلق لأن حياته لا تنتهى، ولأن حياة الإنسان إمداد من الحى الذى لا يموت ، حتى إن النصارى أنفسهم فسروا الأب والابن والروح القدس بالوجود الحى العالم - ولهذا كانت أعظم آية فى القرآن الكريم هى قوله تعالى فى سورة البقرة (الله لا إله إلا هو الحى القيوم).

وإلى القارىء الكريم نكتة لطيفة يروح بها عن النفس ويرهف بها الحس .

فى محاورة بين أحد المسلمين وأحد القساوسة :

قال المسلم للقسيس : أما علمت أن رئيس الملائكة قد مات ؟

قال القسيس للمسلم : هذا محض افتراء ؛ لأن الملائكة لا يموتون .

قال المسلم للقسيس : أنت تقول الآن إن الله قد مات على الصليب فكيف تخلد الملائكة والإله يموت ؟

فبهت الذى . . . .

ويقول الشاعر الماكر :

عجبا للمسيح بين النصارى ... وإلى الله والدا نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا ... أنهم بعد قتله صلبوه
فلئن كان مايقولون حقا ... فسلوهم : فأين كان أبوه ؟
فإذا كان راضيا بأذاهم ... فاشكروهم لأجل ماصنعوه
وإذا كان ساخطا غير راض ... فاعبدوهم لأنهم غلبوه

٤ — الملك - اسم من أسمائه الحسنى المتعلقة بقدرته وتدبيره للأمور، فهو المتصرف فى ملكوت السموات والأرض بجبروته ورحموته ، والمدبر للأمر فى الدنيا والآخرة على مقتضى العلم والحكمة - فلا يملك التصرف فى الكون كله إلا الله وحده ، وفى هذا يقول الله تعالى لنبيه ﷺ من أوائل سورة آل عمران (قل اللهم مالك الملك ،

تؤتى الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء
وتذل من تشاء
بيدك الخير
إنك على كل شىء قدير)

هذه الأمور الخمسة الأولى لا يمكن أن يوصف بها إلا ملك واحد بيده مقاليد الأمور ، فلا ينازعه فى ملكه أحد ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون حتى عز الملوك فى الأرض وذلهم بيده وحياتهم وموتهم وفق إرادته ومشيئته ، والخير كله بيده .

ويأتى الأمر السادس وهو أنه على كل شىء قدير ، فيكشف عن سفه أولئك الذين يلجأون للموتى من دون الحى القيوم ويسألون الفانين والعاجزين ويتركون الملك القادر العظيم وينسون أنه على كل شىء قدير .

وهو الذى يملك النفع والضر ، ولهذا قال لأشرف خلقه ، وأكرم رسله فى شأن الدنيا : (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) .

ويقول له فى شأن الآخرة (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) الزمر هاتان الآيتان هما قمة التمجيد وقمة التجريد فهما تجردان الرسول ﷺ من أى صفة قد تثير الشبهة أن له من الأمر شيئا ، ويبلغ التجريد غايته فيقول الله له فى حادثة دعائه فى بعد غزوة أحد إذ يقول ﷺ « لا يفلح قوم شجوا نبيهم » ثم يدعو فيقول اللهم العن قبيلة كذا وقبيلة كذا والعن فلانا وفلانا » فينزل القول الحاسم من الله تعالى فيقول لأكرم خلق الله على الله (ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) .

الملك إذن كله لله فى الدنيا وفى الآخرة . وعلى الرغم من ذلك يزعم الزاعمون أن شيخ الطريقة ينقذ مريديه يوم القيامة من النار ، وكأن شيخ الطريقة أكرم على الله من رسول الله ﷺ ، وبهذا الزعم يتسرب إليهم الشرك وهم لا يشعرون .

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك فأين ملوك الأرض ؟ »

وعلى الرغم من ذلك نرى فريقا من المسلمين يفزعون إلى المقبورين والمخلوقين الذين لا يملكون مثقال ذرة فى السموات والأرض يطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات ، وينسون أن الله هو الملك وهو على كل شىء قدير (نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) فاصغ بأذنك وليع قلبك قوله تعالى (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير)

ألا فاعتبروا يا أولى الأبصار ، واعلموا أن ما تدعون إليه من دون الله هو الباطل ، وأن الله وحده هو الملك وأنه على كل شىء قدير .

فضل صوم رمضان وقيامه - ١ -

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من المسلمين ، وفقني الله وإياهم لاغتنام الخيرات ، وجعلني وإياهم من الساعين إلى الأعمال الصالحات آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ، أيها المسلمون فإنكم في شهر عظيم مبارك ألا وهو شهر رمضان ، شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، شهر العتق والغفران ، شهر الصدقات والإحسان ، شهر تفتح فيه أبواب الجنان وتضاعف فيه الحسنات ، وتقال فيه العثرات ، شهر تجاب فيه الدعوات وترفع الدرجات وتغفر فيه السيئات ، شهر يجود فيه الله سبحانه على عباده بأنواع الكرامات ، ويجزل فيه لأوليائه العطيات ، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام ، فصامه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأمر الناس بصيامه ، وأخبر عليه الصلاة السلام أن من صامه إيماناً واحتساباً غفر الله له ماتقدم من ذنبه ، ومن قامه إيماناً واحتساباً غفر الله له ماتقدم من ذنبه ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم ، فعظموه رحمكم الله بالنية الصالحة ، والاجتهاد في حفظ صيامه وقيامه ، والمسابقة فيه إلى الخيرات ، والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من جميع الذنوب والسيئات ، واجتهدوا في التناصح بينكم ، والتعاون على البر والتقوى ، لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم .

وفي الصيام فوائد كثيرة وحكم عظيمة ، منها : تطهير النفس وتهذيبها ، وتزكيتها من الأخلاق السيئة ، والصفات الذميمة كالأشر والبطر والبخل ، وتعويدها الأخلاق الكريمة كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضي الله ويقرب لديه .

ومن فوائد الصوم : أنه يعرف العبد نفسه ، وحاجته وضعفه ، وفقره لربه ، ويذكره

بعظيم نعم الله عليه ، ويذكره أيضاً بحاجة إخوانه الفقراء ، فيوجب له ذلك شكر الله سبحانه ، والاستعانة بنعمه على طاعته ، ومواساة إخوانه الفقراء ، والإحسان إليهم ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الفوائد في قوله عز وجل : (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) ؛ فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لتتقيه سبحانه فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى ، والتقوى هي طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه عن إخلاص لله عز وجل ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه ، فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى ، وقربة إلى المولى عز وجل ، ووسيلة قوية إلى التقوى في بقية شئون الدين والدنيا ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى بعض فوائد الصوم في قوله :

« يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »

بين النبي عليه الصلاة والسلام أن الصوم وجاء للصائم ، ووسيلة لطهارته وعفافه ، وما ذلك إلا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، والصوم يضيق تلك المجاري ، ويذكر بالله وعظمته ، فيضعف سلطان الشيطان ، ويقوى سلطان الإيمان ، وتكثر بسببه الطاعات من المؤمنين وتقل المعاصي .

ومن فوائد الصوم أيضاً أنه يطهر البدن من الأخلاط الرديئة ويكسبه صحة وقوة وقد اعترف بذلك الكثير من الأطباء وعالجوا به كثيراً من الأمراض ، وقد أخبر الله سبحانه في كتابه العزيز أنه كتب علينا الصيام كما كتبه على الذين من قبلنا ، وأوضح سبحانه أن المفروض علينا هو صيام شهر رمضان ، وأخبر نبينا عليه الصلاة والسلام أن صيامه هو أحد أركان الاسلام الخمسة ، قال الله تعالى « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات » إلى أن قال عز وجل « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون » .

وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت » .

أيها المسلمون : إن الصوم عمل صالح عظيم وثوابه جزيل ولاسيما صوم رمضان فإنه الصوم الذى فرضه الله على عباده وجعله من أسباب الفوز لديه . وقد ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى : كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى » .

« للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وسلسلت الشياطين » .

وأخرج الترمذى وابن ماجه عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وينادى مناد يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة » .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيراً ، فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله » رواه الطبرانى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله فرض عليكم صيام رمضان ، وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه

كيوم ولدته أمه » رواه النسائي ، وليس في قيام رمضان حد محدود ، لأن النبي ﷺ لم يوقت لأمته في ذلك شيئاً وإنما حثهم على قيام رمضان ولم يحدد ذلك بركعات معدودة.

ولما سئل عليه الصلاة والسلام عن قيام الليل قال: «مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى » أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين. فدل ذلك على التوسعة في هذا الأمر ، فمن أحب أن يصلي عشرين ركعة ويوتر بثلاث فلا بأس ، ومن أحب أن يصلي عشر ركعات ويوتر بثلاث فلا بأس ، ومن أحب أن يصلي ثماني ركعات ويوتر بثلاث فلا بأس، ومن زاد على ذلك أو نقص عنه فلا حرج عليه ، والأفضل ما كان النبي ﷺ يفعله غالباً ، وهو أن يقوم بثماني ركعات يسلم من كل ركعتين، ويوتر بثلاث، مع الخشوع والطمأنينة وترتيل القراءة لما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا ».

وفي الصحيحين عنها رضي الله عنها : «أن النبي ﷺ كان يصلي من الليل عشر ركعات يسلم من كل اثنتين ويوتر بواحدة ».

وثبت عنه ﷺ في أحاديث أخرى أنه يتهجد في بعض الليالي بأقل من ذلك ، وثبت عنه أيضاً ﷺ أنه في بعض الليالي يصلي ثلاث عشرة ركعة يسلم من كل اثنتين، فدلت هذه الاحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ على أن الأمر في صلاة الليل موسع فيه بحمد الله وليس فيها حد محدود لا يجوز غيره وهو من فضل الله ورحمته، وتيسيره على عباده حتى يفعل كل مسلم ما يستطيع من ذلك، وهذا يعم رمضان وغيره

وينبغي أن يعلم أن المشروع للمسلم في قيام رمضان وفي سائر الصلوات هو الإقبال على صلاته ، والخشوع فيها والطمأنينة في القيام والقعود والركوع والسجود ، وترتيل التلاوة وعدم العجلة ؛ لأن روح الصلاة هو الإقبال عليها بالقلب والقالب، والخشوع فيها، وأداؤها كما شرع الله بإخلاص وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب .

كما قال الله سبحانه: (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) وقال النبي ﷺ: « وجعلت قرة عيني في الصلاة » وقال للذي أساء في صلاته : « إذا قمت إلى الصلاة فاسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها ». (يتبع)

— ٦ —

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصرط المستقيم، صرط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

٦ — اهدنا الصراط المستقيم:

بعد أن توجهنا إلى الله تعالى وحده بالعبادة: «إياك نعبد» وبعد أن توجهنا إليه سبحانه وحده بالاستعانة: «وإياك نستعين» يعلمنا الله عز وجل أن أهم ما ينبغي أن نستعينه فيه — هو طلب الهداية والتوفيق إلى الصراط المستقيم، طريق الحق والخير.

وقد كثر كلام المفسرين في المراد بالصراط المستقيم الذى جعل الله طلب الهداية إليه — في هذه السورة — أول دعوة علمها الإنسان.

وجماع القول(١) في ذلك: أن الصراط المستقيم هو جملة ما يوصل الناس إلى سعادة الدنيا والآخرة من عقائد، وآداب وأحكام من جهتي العلم والعمل، وهو سبيل الإسلام الذى ختم الله به الرسالات السماوية، وجعل القرآن دستوره الشامل، ووكل إلى محمد ﷺ تبليغه وبيانه.

الإسلام هو الصراط المستقيم:

وحسب القارئ في معرفة أن الإسلام هو الصراط المستقيم، وأنه لذلك كان الشريعة الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان — أن يتتبع حالة العالم في عصوره المتتابعة قبله، فإنه سيجد أن العالم كان يتردد بين طرفين من إفراط وتفريط، وكان ذلك شأنه في كل شيء:

(١) الجامع لأقوال المفسرين، الشامل لها، ولكل نواحي الاستقامة.

فى العقائد ، فى الأخلاق ، فى صلة الإنسان بالحياة ، فى علاقة الفرد بالمجتمع ، فى علاقة الأمم بعضها ببعض ، إلى غير ذلك من سائر الشئون .

ولما كان العالم لا يصلح بالإفراط ولا بالتفريط — جاءت شريعة الإسلام وسطاً لا إفراط فيها ولا تفريط ، ووقفت أحكامها ومبادئها مهما تنوعت وتشعبت فى هذه الدائرة التى رسمها كتاب الله عز وجل « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (١) » ، « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله(٢) » .

فالإسلام فى العقيدة وسط بين من ينكرون الإله الخالق ، ويزعمون أن هذه الحياة الدنيا ليست إلا وليدة المصادفات ، والتفاعلات المادية ، ويقولون : « ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر(٣) » — وسط بين هؤلاء ، ومن يقولون بالتعدد ويتخذون مع الله أندادا .

يقرر الإسلام فى صراحة وجلاء أن الله إله واحد ، وأنه وحده الخالق الرازق رب العالمين ، فهو المعبود بحق الذى لا يعبد سواه : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد(٤) » ، « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ، إنما هو إله واحد فإياى فارهبون(٥) » ، « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (٦) » .

وهو فى الأخلاق وسط بين الذين يتحللون من كل الفضائل والذين يشتطون فى تصور الفضيلة ويتشددون فيها ، فالفضيلة فى الإسلام وسط بين رذيلتين : الشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والاقتصاد وسط بين البخل والتبذير ، والتواضع وسط بين الاستكبار والاستخذاء ، والصبر وسط بين الجزع والاستكانة ، والتوكل على الله وسط بين التواكل(٧) والغرور ، وأساس ذلك قوله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا (٨) » ، « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم

---

(١) من آية ١٤٣ من سورة البقرة (٢) من آية ١٥٣ من سورة الأنعام
(٣) من آية ٢٤ من سورة الجاثية (٤) سورة الإخلاص
(٥) آية ٥١ من سورة النحل (٦) آيتا ١٦٢ ، ١٦٣ من سورة الأنعام
(٧) التواكل : ترك السعى والعمل وعدم الأخذ بالأسباب (٨) آية ٢٩ من سورة الاسراء

يقتروا ، وكان بين ذلك قواما (١) »وقوله ﷺ لمن ترك ناقته من غير قيد ، زاعماً أنه في هذا ثقة بالله وتوكلا عليه : « اعقلها وتوكل(٢) » .

والإسلام في صلة الإنسان بالحياة وسط بين المادية البحتة ، التي لا تعرف شيئاً وراء ما يقع عليه الحس من طعام وشراب ، ولذات وشهوات ، وغلبة وبطش ، وجمع للأموال وتكاثر وتفاخر — والروحية البحتة التي تزهد في الحياة ، وتعرض عنها إعراضا تاماً ، فلا زواج ، ولا سعى ولا عمل ، ولكن تبتل مطلق(٣) وإهمال للأسباب . يقرر الإسلام في ذلك الوسط أيضا ، إذ يقول سبحانه : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا(٤) » « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله(٥) » « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق(٦) » .

والإسلام في تحديد علاقة الفرد بالجماعة وسط أيضاً ، لم يترك الفرد طليقا يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء ، كالوحش في الفلاة (٧) يجرى ويعبث ، ويفترس ما يقدر عليه . . . ولم يلغ شخصيته ، ويفنى استقلاله ، ولكنه اعتبره ذا شخصية مستقلة ، وفي الوقت نفسه اعتبره لبنة في بناء المجتمع ، فأثبت له — بالاعتبار الاول — حق الملكية لماله ودمه ، والهيمنة على نفسه وولده ، ومنحه في هذه الدائرة حق التصرف بما يراه خيراً له ، وسبيلا لسعادته ، وأوجب عليه — بالاعتبار الثانى — حقاً في نفسه بالخروج للغزو والجهاد لرد العدوان عن الدين والوطن ، وحقاً في ماله بالبذل والإنفاق في سبيل الله ، وأوجب عليه إرشاد الأمة ، وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر .

---

(١) آية ٦٧ من سورة الفرقان .

(٢) اعقلها : اربطها ، وفي الحديث ما يرشد إلى أن الأخذ بالأسباب واجب وأنه لا ينافي التوكل على الله .

(٣) التبتل المطلق : الانقطاع للعبادة وترك العمل .

(٤) من آية ٧٧ من سورة القصص .

(٥) من آية ١٠ من سورة الجمعة .

(٦) من آية ٣٢ من سورة الأعراف .

(٧) الفلاة : الصحراء

وفى مقابل ما أوجبته الشريعة على الفرد للجماعة — قررت له حقوقاً على الجماعة ؛ كفلت له حفظ دمه وماله وعرضه ، وشرعت لحمايته حق القصاص ، وحق الحد والتعزير ، وجعلت له حقا فى أن تعينه بمالها إذا افتقر ، وبذلك تبادل الفرد والمجتمع الحقوق والواجبات .

ولا شك أن سعادة الحياة منوطة بالتعادل بين الجانبين ، وعدم طغيان أحدهما على الآخر : فلو ضن الفرد بنفسه أو ماله أو لسانه على المجتمع ساءت حالته ، وأدركه الضعف والانحلال ، ولو ضن المجتمع بقوته وماله على الفرد فلم يكفل له سعادته ولم يحفظه فى ماله ونفسه وعرضه ، ولم يعنه فى حال فقره أو ضعفه — لشقى الفرد ، وكان عرضة للهلاك ، وبهذا أو ذاك تصبح الحياة عبئا ثقيلا لا يحتمل ، بل جحيما لا يطاق .

والإسلام وسط أيضاً فى تحديد علاقة الأمة بغيرها من الأمم : لم يرض للمسلمين بحياة الضعف والذلة ، وأن يكونوا عزلا من القوة ينتظرون حظهم ، ويترقبون مصيرهم ، وما تقرره الأمم الأخرى فى شأنهم ، ولم يرض لهم كذلك بحياة الظلم والاستبداد ، والفتك بالضعفاء ، والاعتداء على الآمنين فى أوطانهم وأموالهم ، ولكنه أمر المسلمين بالاستعداد والتقوى بالعدد والعدة : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » ، وأمرهم أن يدعوا إلى الله بالحجة والبرهان ، لا بالإلجاء والقهر « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »(١) « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »(٢) .

وقد نظرت الشريعة الإسلامية إلى الحرب وأسبابها الداعية إليها والمفضية إلى شبه غيرانها نظرة تتفق وغايتها من الصلاح العام ، والمساواة بين الناس ، والسير فيهم على سنن العدل والرحمة ، فحصرت أسبابها فى دائرة معقولة ، تتناسب وكونها ضرورة من الضرورات ، هى دفع الظلم والعدوان ، وإقرار حرية التدين ، والدفاع عن الأوطان .

وإن القرآن الكريم ليرشد إلى ذلك فى عدة مواضع ؛ إذ يقول :

---

(١) من آية ٢٥٦ من سورة البقرة .

(٢) من آية ٩٩ من سورة يونس .

« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين »(١) .

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »(٢) .

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله »(٣) .

وأساس الدستور العام فى ذلك هو قوله تعالى : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »(٤) .

وقد أباحت الشريعة الإسلامية للمسلمين أن ينشئوا ما شاءوا من العلاقات بينهم وبين الذين لم يعتدوا عليهم فى الدين أو الوطن من كل ما يرونه عوناً لهم على حياتهم فى شئون التجارة والصناعة والعلم والسياسة والثقافة ، ينظمون ذلك كله على الوجه الذى يتبين صلاحه ، والذى تقضى به سنن الاجتماع والفطرة ، والذى لا يتعارض مع دستورهم الخاص ، وقد أجازت الشريعة أن تصل هذه العلاقات إلى حد البر بهم والإحسان إليهم .

وأساس الدستور العام فى ذلك هو قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »(٥) .

هذا هو الصراط المستقيم ، والمبدأ الوسط ، الذى تسير عليه الشريعة الإسلامية فى جميع أحكامها ، والذى صلحت به لكل زمان ومكان ، واستحقت به الخلود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

فالحمد لله الذى هدانا إليه صراطاً مستقيماً ، وجعلنا مسلمين ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

(يتبع)

عنتر أحمد حشاد

---

(١) من آية ٣٦ من سورة التوبة .
(٢) آية ١٩٠ من سورة البقرة .
(٣) آية ٣٩ و ٤٠ من سورة الحج .
(٤) آية ٩ من سورة الممتحنة .
(٥) آية ٨ من سورة الممتحنة .

شهر شعبان وليلة النصف منه

بقلم فضيلة الشيخ سيد سابق

شهر شعبان من الأشهر الفاضلة التى كان يحرص الرسول صلى الله عليه وسلم فيه على الصيام . قالت عائشة رضى الله عنها : «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان . وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما منه فى شعبان » وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت يا رسول الله : لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال : «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين . فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

وأما ليلة النصف من شعبان فإنه لم يصح فى فضلها شىء يعتد به وهى كسائر الليالى .

وما ذهب إليه بعضهم من أنها الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، فهو خطأ مخالف لنصوص القرآن الكريم فإن الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ليلة القدر وهى فى شهر رمضان .

وكل ما جاء فى هذه الليلة أن بعض السلف كان يتعبد فيها ويخصها بمزيد من الطاعات .

ولا ينبغى أن يتخذ مثل هذا العمل شرعاً نحرص عليه ونحتفل به ونوهم العامة أن ذلك من الإسلام ، وما يفعله بعضهم من اتخاذ أدعية مخترعة وقراءة سور معينة وصلاة ركعتين بنية طول العمر وركعتين بنية جلب الرزق وركعتين بنية دفع البلاء فهى مما لم يأت به الشرع ولم يأذن به الله .

وللانسان أن يتخذ من الأدعية ماشاء مما هو فى حاجة إليه ويستحسن أن يدعو بالمأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة وفى غيرها من الأوقات الفاضلة مثل «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا ».

الخلاصة :

ليس من العسير أن نتخذ من هذه الشهور الفاضلة : شهرى شعبان ، ورمضان شهور تبتل وإحسان ، فنخلص لله فى العبادة ، ونطعم الطعام ، ونصل الأرحام ، وندع الخصام ، ونحسن الكلام ، وننتهزها فرصة للأعمال الصالحة ، ومحاسبة النفس على السيئات ، وأن نجتهد فى الدعاء ، فمكانة الدعاء من العبادة يحددها قوله صلى الله عليه وسلم : « الدعاء هو العبادة » ، ولنلتزم فى أدعيتنا بآداب الدعاء ، بخفض الصوت بين المخافتة والجهر ، وليكن دعاؤنا بالمأثور مما جاء فى القرآن الكريم ، أو السنة النبوية ، أو بما نشعر بحاجتنا إليه من غفران الذنوب ، ورحمة الله ، وسعة الرزق ، وصلاح الأعمال ، وتيسير الأحوال . ولنكثر من قراءة القرآن ، ومن شغله القرآن عن سؤال الله ودعائه أعطاه أفضل مايعطى السائلين ، كما جاء فى الحديث النبوى .

وأما الدعاء المشهور الذى يدعو به الناس بصورة جماعية ، وهو :

« اللهم ياذا المن ولا يمن عليه ، ياذا الجلال والإكرام ، ياذا الطول والإنعام . . » إلى آخره ـ فهو دعاء ـ كما قال العلماء ـ مبتور السند ، متهافت المعنى ، فيه تحريف لكلم الله عن مواضعه ، حيث أرادوا بقول الله عز وجل : « يمحو الله مايشاء ويثبت

وعنده أم الكتاب »[1] محو الشقاوة ، والحرمان ، والطرد . . الخ والآية إنما سيقت لتقرير أن الله ينسخ من أحكام الشرائع السابقة مالا يتفق واستعداد الأمم اللاحقة ، وأن الأصول التى تحتاج إليها الإنسانية العامة ، كالتوحيد والبعث والرسالة ، وتحريم الفواحش ـ دائمة ، وثابتة لاتمحى ولا تنسخ ، وهى « أم الكتاب » الإلهى الذى لاتغيير فيه ولا تبديل ، وإذن لاعلاقة لآية المحو والإثبات بالأحداث الكونية ، حتى تحشد فى الدعاء ، وتذكر حيثية للرجاء .

وكذلك يفهم من الدعاء : أن الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ليلة النصف من شعبان ، والصحيح أن هذه الليلة المباركة — كما جاء فى حديث الأستاذ الفاضل — إنما هى ليلة القدر لتتسق الآيات الثلاث التى جاءت تتحدث عن إنزال القرآن الكريم ، وعن الزمن الذى أنزل فيه ، وهى قوله سبحانه : « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين »[2] « إنا أنزلناه فى ليلة القدر[3] » « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن[4] » فالقرآن الكريم بدأ نزوله فى ليلة وصفت مرة بأنها ذات قدر ، ووصفت مرة أخرى بأنها مباركة ، فهما صفتان لليلة واحدة من شهر رمضان .

أيها المؤمنون :

اسألوا الله العلى القدير من فضله — أن ينصرنا على أعدائنا ، وأن يكشف عنا مانزل بنا ، وأن يجمع قلوبنا على الوحدة والمحبة ، فهو وحده خير مسئول ، وأكرم مأمول .

---

(١) من آية ٣٩ من سورة الرعد
(٢) آيات ٣ و٤ و٥ من سورة الدخان
(٣) آية ١ من سورة القدر
(٤) من آية ١٨٥ من سورة البقرة .

٣ - [الجملة المفيدة] أولا!!..

[إلى الذى ألف كتاباً من أربعمائة صفحة قبل أن يجيد تأليف الجملة المفيدة]

لو أن [أبا ريا] حى بيننا يرزق .. ؛ ثم قرأ - كما قرأنا - كتاب: [الأضواء القرآنية فى اكتساح الأحاديث الإسرائيلية و وتطهير البخارى منها] ذلك الذى ألفه : [أحد جنود البحرية المتقاعدين] ، لخف مسرعاً إلى أقرب « دار للقضاء » يطالب بمحاكمة « المؤلف » بتهمتين :

الأولى : سرقة كتابه : [أضواء على السنة المحمدية]

الثانية : تشويه هذا الكتاب بأخطاء إملائية ونحوية ... يتنزه عنها صغار التلاميذ ، فضلا عن كبار الباحثين الذين يتصدون لنقد البخارى . وغيره من دواوين السنة !!

● وقبل أن أبدأ فى استعراض نماذج من هذه الأخطاء ، أحب أن أريك رأى المؤلف فى نفسه ؛ لترى إلى أى حد بلغ به الادعاء .

يقول فى [ص ٦] من كتابه ، معلما الآخرين ، كيف يتعلمون ويتثقفون ، كما تعلم هو وتثقف ، حتى يتحولوا - بقدرة قادر - إلى كتاب ومؤلفين ، كما تحول هو - دون أن يدرى - إلى كاتب ومؤلف .

يقول : [ولهذا أقول لأخى فى الله ، وصديقى على درب الموحدين : إنى أهديك نصيحة صادقة ، هى أنك لو أردت العلم الدينى فما عليك إلا أن تتقى الله ، وتأخذ بأسباب التحصيل اطلاعا طويلا ، مرتكزاً على القاعدة القرآنية ، والسنة الصحيحة ، وبالصبر الجميل على طريق الاطلاع سوف تكون عالماً واعياً ولا ينبئك مثل خبير]

أرأيت ؟

هذا هو : كاتب الإسرائيليات ،

ـ أراد العلم الدينى ، فناله ، بالتقوى ، والتحصيل ، والاطلاع الطويل ، المرتكز على القاعدة القرآنية ، والسنة الصحيحة ، ...

وهكذا ؛ بالصبر الجميل على طريق الاطلاع تحول إلى عالم واع .، وإلى خبير.. أيضاً ؟

ورحم الله الذى قال: « اللهم لا تذقنى طعم نفسى ؛ لأنى لو ذقتها فلن أذوق خيراً أبداً » ...

• وتعال معى ــ ياعزيزى القارىء ــ نستعرض نماذج من الأخطاء النحوية التى سقط فى بؤرتها ؛ العالم الواعى الخبير ، « كاتب الإسرائيليات » .

وأعدك ، وأعده ؛

١ ــ بأننا سنقدم نماذج من الأخطاء التى وقعت فى الصفحات الخمسين الأولى ؛ فقط !

٢ ــ وبأننا سنكتفى بعرض الأخطاء الخاصة بالفاعل ، والمفعول به ، والمبتدأ ، والخبر ، والنواسخ ، أو بعبارة مختصرة [الأخطاء التى ينبغى أن يتقيها تلاميذ المرحلة الأولى]

٣ ــ وسأضرب صفحاً عن الأخطاء الكبيرة [الأخطاء التى ينبغى أن يتقيها تلاميذ المرحلة الإعدادية] مثل: كسر همزة (إن) وفتحها ، وتعدى الفعل ولزومه ، وما إلى ذلك.

٤ ــ وسأضرب صفحاً ــ كذلك ــ عن الأخطاء المطبعية التى وقعت فى ثنايا الكتاب وانتشرت بين صفحاته وسطوره .

• • •

فى صفحة ٧ ، ١٣ قال : [وصلى(١) اللهم على نبيك]

وفى صفحة ٨ قال : [لم يفرض علينا شرط(٢)]

وفى صفحة ١٣ قال : [المهمة التى فرضها الله على أيدى(٣) مؤمنة]

وفى صفحة ١٥ قال : [حتى يعلمون(٤) مافيه]

---

(١) الصحيح صل ؛ فعل أمر مبنى على حذف حرف العلة .

(٢) شرطا ؛ مفعول به منصوب بالفتحة

(٣) أيد ؛ وتعل إعلال قاض

(٤) يعلموا ؛ منصوب بحذف النون ؛ لأنه من الأفعال الخمسة .

وفى صفحة ١٨ قال : [والشافعية لم يجتمعون (١)]

وفى صفحة ١٨ أيضا قال : [ماعلمت عمر حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق عبد الله بن حذيفة وأبا الدرداء وأباذر (٢)]

وفى صفحة ٢٠ قال : [ولو أنك تصفحت البخارى ومسلم (٣)]

وفى صفحة ٢٣ قال : [وقد روى للتابعين (٤)]

وفى صفحة ٢٧ قال : [ونقول للعقلاء من المؤمنين بالله ورسوله هذه أربع روايات فى موضوع واحد ، ومنها روايتين (٥) فى كتابه مسلم ، وكلهم مختلفين (٦) اختلافاً واضحا]

وفى صفحة ٢٧ أيضا ، قال : [أو فهما أعطيه رجلا مسلماً (٧)]

وفى صفحة ٢٨ قال : [إلا فهماً يعطى (٨) رجل فى كتابه]

وفى صفحة ٢٨ ، ٢٩ قال : [لايقبل الله منه صرف ولا عدل (٩)]

وفى صفحة ٣٢ قال : [بمعانى نصوصها مفتوحة للناقلين (١٠)]

---

(١) الصحيح : لم يجتمعوا ؛ مجزوم بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة .

(٢) « أبى الدرداء وأبى ذر ، لأنهما معطوفان على المجرور

(٣) « ومسلماً ؛ لأنه معطوف على المفعول به

(٤) « التابعون ؛ فاعل مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم .

(٥) « روايتان ؛ مبتدأ مرفوع بالألف . لأنه مثنى .

(٦) « مختلفون ؛ جمع مذكر مرفوع بالواو ويقال [وكلها مختلفة]

(٧) « رجل مسلم ؛ وجل ؛ نائب فاعل (أعطى) ومسلم ، نعت له .

(٨) « الصحيح : رجلا ؛ مفعول ليعطى

(٩) « صرفاً ولا عدلا ، مفعول به ، ومعطوف عليه

(١٠) « بمعان ؛ أعلت إعلال قاض

وفى صفحة ٣٧ قال : [ممن لم يرجون(١) لله وقاراً]

وفى صفحة ٣٩ قال : [إلى هنا ينتهى كلام المستشرقون(٢) فى دائرة المعارف]

وفى صفحة ٤٠ قال : [مع أن دينهم لم يعادى(٣) شيئاً كما عادا(٤) الخلاف]

وفى صفحة ٤٢ قال : [وحتى يكونون(٥) مرجعاً]

وفى صفحة ٤٥ قال : [ولم يكن معاوية كاتب(٦) للوحى]

وفى صفحة ٤٧ قال : [وإذا حدثتم عنى حديث (٧) تنكرونه]

وفى صفحة ٤٩ قال : [سيف بن عمر كان كذاب (٨)]

وفى صفحة ٤٩ أيضاً قال : [ذكر المحققون أموراً كلية يعرف بها أن الحديث حديثاً(٩) موضوعا (١٠)]

وفى صفحة ٥٢ قال : [أسباب الدس هى كراهية الإسرائيليون (١١) للاسلام والمسلمين]

• • •

• وبعد ؛ فهذه بعض أخطائه اللغوية . أخطاء « صاحب الإسرائيليات » ، ومن يدرينا لعلها ليست بأخطاء ، وإنما هى محاولة منه ، لتعديل « النحو العربى » ، حتى يتفق — هو الآخر — مع العقل والمنطق ، فقد تكون أصابع الإسرائيليين عبثت بأصول « النحو » وقواعده ، كما عبثت بأصول « الحديث » وقواعده . .

محمد جميل غازى

---

(١) الصحيح : يرجوا ؛ فعل مضارع من الأفعال الخمسة مجزوم بحذف النون

(٢) « المستشرقين ؛ مضاف إليه مجرور بالياء ؛ لأنه جمع مذكر سالم

(٣) « يعاد ؛ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة

(٤) « عادى ؛ الألف رابعة فترسم ياء

(٥) « يكونوا ؛ منصوب بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة

(٦) « كاتبا ؛ خبر كان منصوب بالفتحة الظاهرة

(٧) « حديثا ؛ لأنه مفعول به

(٨) « كذاباً ، لأنه خبر كان

(٩) « حديث ؛ خبر إن

(١٠) « موضوع ؛ نعت لخبر إن

(١١) « الاسرائيليين ، لأنه مضاف إليه مجرور بالياء

الغيرة على الدين

للأستاذ الشيخ زكريا إبراهيم الزوكة — مدير المساجد

إن لكل شيء علامة تدل عليه وترشد إليه ، وتمنحه التعريف والتمييز . . وعلامة الإيمان الصادق الغيرة عليه والغضب له والقيام على حمايته بقدر المستطاع ، لأن الغيرة دليل الرغبة ، والثمرة التي تظهر كلما قوى الحرص واشتدت المحبة .

فمن آمن بشيء ثم لم يحطه بالرعاية ، ويشمله بالكرامة ويقف دونه موقف البطل يغار عليه ، ويكشف السوء عنه فهو منافق في إيمانه ، متهم في إخلاصه . دعي في حبه .

ذلك أن العقل السليم لا يتصور الإيمان بالشيء والتهاون بشأنه ، والحب له والحط من قدره . والرغبة فيه وعدم الغيرة عليه . . فالغيرة إذاً من مقتضيات الإيمان تقوى بقوته وتضعف بضعفه وتفقد حيث لا يكون القلب مؤمنا .

والغيرة على الدين إنما تكون بالعمل به والدعوة إليه ، والدفاع عنه . فمن آمن وعمل ثم لم يغضب لحرمات الله المنهوكة وشرائعه المنبوذة وكتابه المهجور فقد أضعف دينه ، وأغضب ربه ، ووقف على شفا الهاوية التي توشك أن تقذفه في النار .

نعم فليس بمتدين هذا الذي يغضب لنفسه ولا يغضب لله ، ويغار على شرفه ولا يغار على دين الله ، وليس بمتدين هذا الذي يرى باطل المبطل وفساد المفسد ، ثم لا يجد لذلك ألماً في نفسه ، أو لذعاً في قلبه ، أو مرارة في لسانه (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله . ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) سورة الحشر .

إن الضلال ليرفع رأسه ويصعر خده ، وهو آمن مطمئن لأنا عودناه أن نقابل ضجته بالصمت ، وجرأته بالجبن ، ونشاطه بالخمول حتى أصبحنا وإذا أروج المجلات

تلك التي تحمل الخلاعة والمجون . وإذا أحب الإذاعات تلك التي تدوس على القيم وتهزأ بالتقاليد ، وإذا أحفل المجالس تلك التي ينصب عليها الشيطان رايته ، ويتصدر فيها المجاهرون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول .

وحتى أصبح لا همّ لطلاب الربح وعشاق الشهرة إلا إثارة الغرائز الخسيسة والشهوات الدنيئة والرغبات الساقطة .

ومن الناس من يبصر المنكر ، ويتردد على المبطلين من غير أن يبذل في سبيل الله كلمة طيبة أو نصيحة بالغة أو غضبة كريمة ، ويحسب ذلك ضرباً من اللباقة ، أو فناً من التسامح الذي جاء به الدين ، واتصف به السابقون من المؤمنين ، وليس الأمر كذلك ، فالتسامح المطلوب ألا تؤذى من خالفك فتنسب إليه زوراً أو تنفى عنه مكرمة ، أو تهضم له حقاً ، أو تنكث له عهداً .

في هؤلاء يرتفع صوت الحق بكلمة الله تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) سورة المائدة .

أما الشخص الذي يجاهر بالعصيان ، ويتخذ آيات الله هزواً . فلا موضع لمجاملته . فقد أنكر الله التزلف لأهل البغي مهما عظموا فقال تعالى منكراً على المسلمين توددهم لهم . وحرصهم على رضاهم (أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) سورة النساء .

وقديماً لعن الله بني إسرائيل لأن الرجل منهم كان يلقى الرجل فيقول له : ياهذا اتق الله ودع ماتصنع . ثم يلقاه من الغد وهو على حاله . فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وجليسه ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون) سورة المائدة .

إن الأمة تنهض بالإسلام إذا اعتمدت عليه ، واستمسكت بعروته ، وذلك لا يكون إلا بحماية هذا الدين والحرص على حرمته ، وسبيلنا في ذلك بغض المنحلين ، وعداوة

الفاسقين والإنكار على الماجنين « فلا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله . حتى يحب فى الله أبعد الناس إليه . وحتى يبغض فى الله أقرب الناس إليه »

وقد بدأ المسلمون يثوبون إلى الإسلام ويذوقون حلاوته منذ أن انتصروا به فى العاشر من رمضان ، ومسحوا به حزى الهزيمة التى جرها التحلل والتبذل ، والبعد عن الدين .

وأخذ الإسلام من أصوله السليمة ، وصفائه الصافية ، وتجريده مما علق به من غبار القرون المتتابعة ، وأشواك الثقافة المتخلفة ، والاقتداء بالرسول وأصحابه الذين يمثلون خير القرون ، ويعبرون عن الإسلام أصدق التعبير . كل ذلك يعطينا مفاتيح الخير ، ومصادر القوة ، وبشائر النصر ، ويؤذننا بميلاد نهضة إسلامية ، تقود ولا تقاد ، وتعطى ولا تتسول ، وتمشى إلى غايتها بين نورين من كتاب الله وسنة رسول الله ، وبهدا لا تزيغ ولا تضل ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ؟

الأولياء

الناس فريقان : ولى للرحمن ، أو ولى للشيطان ولا ثالث لهما .

فأولياء الرحمن ، هم المؤمنون المتقون ، الذين وثقوا بالله فوضعوا شئونهم كلها بين يديه ، يقضى فيها بما يشاء ، ويقبلون قضاءه بالرضا التام ، فهو وليهم ، وهم أولياؤه وأحباؤه المجاهدون فى سبيله ، الناصرون لدينه ، الداعون إليه ، الباذلون كل شىء فى مرضاته .

وأولياء الشيطان : هم أعداء الله ، المتمردون عليه وعلى سنته وآياته وحكمه وقضائه هم أعداء رسوله العاملون لإماتة سنته لإحياء بدعهم وجهلهم وخرافاتهم .

فليست الولاية وقفاً على - ماركه مسجلة - من الناس هم أولياء إذا أطاعوا الله أو عصوه ، اتبعوا رسوله أو حاربوه . اللهم هذا بهتان عظيم روجه الصوفية ليأكلوا أموال السذج بالباطل ، فالصوفية : وهى غريبة عن الإسلام وفدت عليه من الهندوكية والبوذية والذرادشتية وغيرها من الديانات الوثنية قد عملت جاهدة على طمس معالم الإسلام بتجهيل المسلمين ، ولن يستطيع المسلمون العودة إلى الإسلام الحق إلا بالعلم والخروج من ظلمات الجهل .

« عن سنن الجهاد »

للأستاذ أحمد طه نصر

جاء هذا الدين القيم يهدى الناس إلى معالم السنة ويحذرهم عواقب ومزالق الفتن . يرشدهم إلى ما فيه عزهم فى الدنيا . وفوزهم فى الآخرة . وقد آن للمسلمين أن يدققوا النظر . وأن يخلصوا النية . وأن يشمروا عن ساعد الجد لما انتابهم فى هذه السنين . فلطالما ركنوا إلى سيئات أعمالهم وشرور أنفسهم . وبعدوا عن ربهم . وخالفوا هدى نبيهم ﷺ . ولم يقدروا سنن الله وآياته ونعمه قدرها فكان هذا العدو وتسلطه فى حال الضعف والغفلة . وكان الأجدر بنا ونحن أمة إسلامية لها دستور ونور بين يهدى للتى هى أقوم — أن نعرف ونعقل وأن ندرس ونعتبر من أحوال السابقين وسير الماضين . من كان منهم مستقيماً بأمر ربه فأمره . ومن كان منفذاً لسنته فنصره . ومن كان مقتدياً بهدى نبيه ﷺ فرفعه ، وأحياه الحياة الطيبة . كم شهدنا من سنن الله وآثاره فى الأرض أنه سبحانه يورثها عباده الصالحين . يستخلفهم ويمكن لهم بعلم وإيمان . وسبق وعرفان . وعمل متواصل بجد وإحسان .

العدة والعتاد سنة لا محيد عنها فى السلم قبل الحرب والأصل فى المسلمين أنهم قادة وسادة وهداة العالم والناس أنهم أصحاب السلطان أقوياء الأركان بما يمدهم به ربهم من هداية وتوفيق . وفى ذلك يقول ويتبع الأمر ويقرنه ببذل المال اتقاء التهلكة ولأنه قوام هذه العدة ولتسمع آية سورة البقرة « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » وآية سورة الأنفال « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

وتمكن من هذا الحق سنة تضافر القوى وبذل الجهد لحياة أمة موحدة متضامنة متماسكة متعاونة معتصمة بدين ربها مستنيرة بآيات الكتاب حيث يقول « إن هذه

أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » - « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) . وحال أمة العرب قبل الإسلام معروف لنا — شتات وعجز — وأصبحت بعد أن اهتدت بالدين القويم . قوة منفذة . ويداً موحدة ، وكلمة موحدة جماعتهم ووحدتهم هى وجودهم . ترابطهم وتكافلهم هو بناؤهم وما وجدت أمة كذلك إلا عصمت نفسها ولم تهن على عدوها ، وكم بقيم الله من آيات وعبر على مر الأيام والسنين يذكر بها عباده وكم من حوادث يبتلى الله بها تلك الشعوب حتى يمحصهم فيثوبوا إلى رشدهم ويصدقوا فى مسئولياتهم . وقد أنعم على الأمة فى محنتها هذه بنعمة التآلف والتناصر وتوحيد الكلمة . فأثمر ذلك ما أريك العدو . وقت فى عضده . وقذف فى قلوب غير العرب والمسلمين الذين حقروها وهضموا حقنا ووجودنا طويلا من هذه الأمم الأوربية . وأيقظ فيهم احترام وتقدير الأمة الإسلامية العربية والنزول على إرادتهم . والله وحده القدير أن يتم علينا النعمة والتماسك والقوة والعزة لنعرف طريقه وفضله والأمانة الملقاة على عاتقنا حتى نكون جديرين بالحياة . وليس بعدما نحن فيه من شدة . لذلك يجب علينا استخلاص أنفسنا وأمتنا بالجهاد والكفاح والبذل والتضحية . وأن ذلك سنة من سنن ربنا وأن الحياة الطيبة فى الدنيا . والجنة والرضوان فى الآخرة إنما هى سلعة غالية . تضمن الله بها لمن وفى من المؤمنين وهو المالك لهم ومن أوفى من المالك سبحانه ولكنها البشرى للعاملين ، ما أجمل هذا الموقف الرائع بين النبى ﷺ والأنصار فى بيعة العقبة إذ يقول نقيبهم بعد إدراك ويقين - للنبى ﷺ « اشترط لربك ولنفسك ما أحببت فيقول النبى ﷺ أشترط لربى أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً . وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا : ومالنا إن فعلنا ذلك ؟ فقال (الجنة) فقالوا : ربح البيع ، (إن الله اشترى من

المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) ولا يقف بنا العجز إلى حد الدعاء وطلب النصر ونحن في غير جد ولا استقامة . فقد كان النبي ﷺ يعد عدته ويأخذ أهبته ويبذل قوته ثم بعد ذلك يستعين بربه ويستغيثه وحده لأنه الولي النصير فيمده من عنده ويعينه بجنده ، وينصره بقوته ، ليحق الحق ويبطل الباطل . يوم بدر يرصد غير العدو ليصادر تجارته ويضعف قوته فلما فاته العير استعد للملاقاة قريش التي خرجت الحماية تجارتها . فأحسن تخير الموقع . يستولي على الماء ويغور ماعداه حتى لا يشرب العدو . يعبيء المؤمنين ويحرضهم ويلتحم الجيش فيدعو ربه فيستجيب له (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) ويوم أحد وضع خطته وأخذ حيطته وحمى بالرماة ظهره وبيت حتى انصرف العدو وقيل للمؤمنين بعد جراح أصابهم (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) ويوم الأحزاب يشارك في حفر الخندق ليدفع ويمنع زحف العدو بل يبعث يخذل العدو عنه (والحرب خدعة) ثم يستنصر ربه . فيمن عليه (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً) حتى الذود عن النفس والأهل والمال والوطن بضمه الإسلام في مرتبة الجهاد ثم الاستشهاد متى كان صادراً عن عقيدة راسخة صادقة تبذل النفس وتحمل السلاح لتكون كلمة الله هي العليا وحتى يعبد الله وحده ويكون الدين له خالصاً وفي ذلك عن الدنيا ونعيم الآخرة . وكان المسلمون مثال الطاعة ومضرب المثل في الشجاعة والإقدام . فكتب لهم النصر والظفر . ولم يحفظ التاريخ أن المسلمين انهزموا في موقعة التزموا فيها سنة ربهم ، ووصية نبيهم ، وقواعد كتابهم . كلمة الدين وصبغته التي لا يسعد المجتمع بدونها .

إن إسلامنا محفوف بالمخاطر إن لم ندعمه بالجهاد والقتال تطهيراً وتحريراً حتى القضاء على العدو راجين عون الله ورحمته (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم)

المرأة فى ظل الإسلام
٢

بقلم : مصطفى برهام
سكرتير فرع الجماعة بالمحلة الكبرى

درجة الرجل على المرأة . . . .

[ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة]

لقد تولت الفطرة توزيع العمل بين الرجل والمرأة على نحو عادل سليم ، فالمرأة تحمل الجنين تسعة أشهر فى بطنها ، ثم تضعه وتتعهده بالرضاعة والرعاية فى حنو وعطف ، وقد هيأها الله سبحانه وتعالى لهذا الأمر وخصها به ، وأعدها له إعداداً لاخيار لها فى قبوله أو تركه ، وهى من خلال ذلك تتعرض لكثير من الألم والضعف والمرض . . أما الرجل فقد أعفى من كل أولئك ، وهو تبعاً لذلك ميسر لأعمال أخرى ، قادر عليها ، أهمها السعى والكد فى سبيل تدبير نفقته ونفقة زوجه وأولاده . . .

يتضح من ذلك أن الرجل والمرأة يتعاونان معاً فى سبيل أداء رسالتهما فى الحياة ، يتحمل كل منهما نصيبه الذى وجهه الله إليه ، ويحكمهما فى هذا قول الله تعالى فى سورة البقرة « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » ونستطيع أن نخلص من ذلك إلى عدة أمور أهمها :

أولا : أن علاقة الرجل بالمرأة تقوم على العدالة التامة ، فهما طرفان فى هذه الحياة ، يتبادلان الحقوق والواجبات ، وليس لطرف منهما أن يبغى على شىء من حقوق الآخر ، وإلا كان ظالما آثما مبتعداً عن الإطار العادل الذى حددته الآية الكريمة لتقنين العلاقة بينهما .

ثانياً : أن هذه العلاقة تقوم على المساواة فى توزيع الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة ، على سبيل التكافؤ والمماثلة « ولهن مثل الذى عليهن » وهى مماثلة

معنوية ومساواة أدبية ؛ ليس المقصود منها مماثلة حسية مادية .. وفى هذا المعنى يقول عبد الله بن عباس رضى الله عنهما (إنى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى) .

ثالثاً : والأمر الثالث الذى تقوم عليه هذه العلاقة هو الشورى، والتفاهم بالحسنى فى تسيير أمور حياتهما ، دون خروج على أحكام الدين ، وما تعارف عليه الناس من أخلاق كريمة ، وهذا التفاهم ينبغى أن يتم بينهما فى جو من المعاشرة الحسنة دون إكراه منه ، ودون جور منها .

بعد أن اتضح بيان الإسلام فى رسم سياسة الأسرة من حيث توزيع الحقوق والواجبات ، يبرز أمامنا سؤال هام ، لمن تكون رياسة الأسرة ؟ الرجل أو المرأة ؟ إن الرجل هو أبو الأولاد ، وإليه ينتسبون ، وهو صاحب المسكن ، ومسئول عن إعداده وتجهيزه ، وحمايته ونفقته ، وهو المسئول عن تربية أولاده وتنشئتهم وسلوكهم ، فضلا عن مسئوليته عن نفقة طعامهم وكسوتهم وتعليمهم ، وهو بحكم تكوينه صالح لرعاية الأسرة فى جميع الظروف والأحوال ، حيث لا يعتريه مايعترى المرأة من دورة الحيض الشهرية والحمل والولادة والنفاس والرضاعة ، ومايعقب ذلك من ألم وضعف وعجز عن ممارسة شئون الإشراف والرياسة ، ورياسة الرجل للأسرة ينبغى أن تكون أنها رياسة مسئولية ، لا رياسة تحكم ينتج عنه جور على حقوق العدل والمساواة والشورى ، وهذه الرياسة داخلة فى مضمون قوله تعالى : « وللرجال عليهن درجة » .

والرياسة امتياز نشأ للرجل مقابل التبعات الكثيرة ، والاختصاصات الواسعة المسندة إليه ، وليس معنى هذا إهدار شخصية الزوجة ، أو إلغاء إرادتها .

ينبغى إذن أن تزول كل الحساسيات والعقد التى تنشأ فى نفوس بعض المتزوجات من النساء ، ومن ثم يحاولن محاربة الفطرة ، وخلق المشاكل التى لا يترتب عنها إلا النفور والشقاق والبغض ، خاصة وأن رباط الزوجية يربط فى الغالب بين اثنين متحابين يتعاطفان بمشاعر المودة والرحمة ، وسرعان ماينزل كل منهما عن كثير من أنانيته ورغباته ليؤثر بها أولاده ، وهما فى هذه الحالة يتعاملان بقانون غير قانونه

العدل والمساواة والشورى ، حيث يرتفع كل منهما فوق أنانيته ، ويستعلى على رغباته في سبيل تحقيق الراحة والسعادة والاستقرار لأولاده . وهو مستوى رفيع من الإنسانية لايهم أحدهما فيه لمن تكون الرياسة ، لأنه مستوى من الإيثار والتزاحم والمحبة أجل وأعظم من أى سلطة .

نأتى بعد هذا إلى آية كريمة تقرر حق الرياسة للرجل ، وتوضح أسباب منح الرجل هذا الحق ، فى أسلوب يتجلى فيه لطف الله وعدله « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم(١) » .

والخصائص التى تميز الرجل واضحة فهو الذى يقوم بالحماية والرعاية ، وهو المسئول عن الدفاع عن النفس والمال والأرض والعرض ، هيأه الله فى تكوينه وخلقه بما سبق أن أوضحناه من مقومات تجعله صالحا لتلك الأغراض ، وهو المسئول أيضاً عن كسب المعاش وتدبير نفقة البيت والزوجة والأولاد بحكم الفطرة وبحكم التشريع ، والرجل من خلال هذه الخصائص والمقومات يقوم بأداء واجباته من خلال عقله ، ويغلب العقل على العاطفة فى جل تلك الامور ، وهو بلا أدنى شك يفضل المرأة فى سائر هذه المسئوليات ، ويقابل هذا التفضيل تفضيل المرأة فى كل أمور العاطفة ، ولولا تهيئة الله للمرأة يفيض من العاطفة لما استقامت الحياة ، فهى التى تحتمل آلام الحمل والولادة والرضاعة فى صبر لايستطيعه أقوى الرجال ، وهى التى تمنح وليدها الحب والحنان والعطف على حساب صحتها وراحتها ، وإن أشد الرجال حناناً لايستطيع أن يداعب طفله أو يتحمل متاعبه ومشاكساته مهما كان حبه له أكثر من دقائق معدودات ، أما المرأة فقد خصها الله بصبر واحتمال لاحدود لهما ، تستطيع بهما أن تحتمل كل مضايقات طفلها ، دون أن تخبو عاطفتها ، أو يتقلص ظل حبها وحنانها ، فالرجل يقود الأسرة من منطلق العقل ، وتشاركه المرأة فى تلك القيادة من منطلق العاطفة ، لتستقيم الحياة ، ويعمر الكون ، وترفرف عليه السعادة ، وبهذا تستقر حياة الأسرة ، وتثبت من خلال ركيزتين لاغنى لأسرة عنهما ، هما العقل والعاطفة ،

(١) النساء : من آية ٣٤

ولسنا نذهب بعيداً إذا طبقنا عمليا ماسلف من كلام ، فإن عوامل الحماية والرعاية والأمن تجدها المرأة مهما كانت ثرية وقوية ، ويجدها الأولاد فى كنف الرجل ، وكذلك عوامل العطف والحنو والمحبة يجدها الرجل ويجدها الأولاد فى كنف المرأة ، وكلا الطرفين لايصدر فى ذلك إلا عن فطرة سليمة ، وإن كثر المراء والجدال فى ذلك .

ولقد تمنى النساء قديماً أن يكون لهن حظ مما يذهب به الرجال من ثواب الجهاد ، ومقاتلة الكفار ليتساوين معهم فى الأجر والغنيمة ، فقد روى أن أم سلمة زوجة النبى ﷺ ومعها نسوة قالت (ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال ، فيكون لنا من الأجر مثل مالهم ، ولما كان هذا التمنى - رغم مافيه من خير ضد الفطرة ، فقد نزل قول الله تعالى (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شىء عليما) (١) .

والآية الكريمة تقرر أن ثواب الله يمنح للرجل والمرأة على قدر مايوديه كل منهما من واجبات هيأه الله ويسره لها ، لأن واجبات الرجل لها خطرها وقيمتها ، وكذلك واجبات المرأة لها مثل هذا الخطر وتلك القيمة .

إذن فمفهوم القوامة والرياسة هنا لا بغى فيه ولا قهر ، وإنما هو أمر من صنع الله لامن صنع الرجل وكسبه ، وقد نشأ له بحكم ما كلف به من اختصاصات ، لابحكم امتياز له فى جوهر النفس ومعدن الفطرة ، ولايفهم من نصوص المفاضلة أنها تفضل لمعدن الرجل على معدن المرأة ، لأنهما شقيقان ينحدران من نفس واحدة ، فالتفضيل إذن لايفض من قدر إنسانية المرأة ، لأنه نشأ من تفرقة عضوية بينها وبين الرجل ، لامن تفرقة فى جوهر الإنسانية المشترك ، وقد ذهبت المرأة فى المجتمع بما ذهبت به من وضع ، وذهب الرجل بما ذهب به ، وترتب لكل منهما على ذلك ما أسلفنا من تبعات تتفاضل بتفاضل ماذهب به كل منهما ، على أن يكون ميزان المثوبة بعد ذلك قائما على إخلاص كل منهما لواجبه ، وتقواه لله عز وجل .

(يتبع)

---

(١) النساء : آية ٣٢ .

دعوة التوحيد

دعوة للتوحيد يجب أن تستمر فى كل زمان ومكان، لأن الإسلام مبناه على التوحيد، ذلك لأنه لا يصح شىء من فروع الدين بدونه . والقرآن كله فى التوحيد فهو أى القرآن — إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأقواله ، وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه، وإما أمر ونهى وإلزام بعبادة الله وطاعته، وإما بيان عن عاقبة المؤمنين الموحدين وعاقبة الكفار والمشركين .

ومن أجل دعوة التوحيد تتابع الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، من لدن آدم أبى البشر إلى محمد رسول الله وخاتم النبيين ، فكل رسول كان يستفتح دعوته ويختمها بالدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالألوهية والحاكمية والذى يقرأ القرآن ويتبع قصص الأنبياء فيه يجد هذه الحقيقة واضحة جلية .

والدعوة إلى التوحيد هى أول ما يجب على الدعاة القيام به تأسيا بالرسل وخاصة سيدنا محمدا ﷺ الذى قال لمعاذ حينما بعثه إلى اليمن (إنك تأتى قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأنى رسول الله ... » .

هذا لأن التوحيد شرط فى صحة الإيمان بالله كما قال تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) .

إن الإيمان هو الأساس الذى يقوم عليه بناء الإسلام كله، وتصحيح الإيمان بالتوحيد ضرورى لضمان سلامة البناء وحفظة من التداعى والانهيار (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين) .

وأمراض المسلمين الفردية والاجتماعية ترجع فى الحقيقة إلى ضعف الإيمان فى نفوسهم إلى درجة أصبح الإيمان معها مريضاً أو ميتاً ... والإيمان الذى يخالطه أى نوع من الشرك يفسده ويكون باطلا لا قيمة له فى ميزان القرآن الكريم .

ولم يعترف القرآن بالإيمان الذى كان عليه المشركون وكم نعى عليهم رفضهم الإيمان بالله وحده قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وقال تعالى (لكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير). فالإيمان الذى يعتبره القرآن هو الإيمان الخالص، الإيمان الحق الذى يحرر القلوب والشعوب من العبودية لغير الله سواء بدعوى القداسة والوساطة عند الله أو بدعوى التشريع والحكم بغير ما أنزل الله .

أعود فأقول إن الدعوة إلى التوحيد يجب أن تنتشر لأن المعركة بين التوحيد والشرك معركة طويلة ودائمة .

والشرك مازال ولا يزال يظهر فى صور شتى ، سواء فى الأمم البدائية والأمم المتحضرة وحتى المسلمون وهم أمة التوحيد سرت إليهم لوثة الشرك فأصبحوا كجسم كان يوماً صحيحاً معافى ولكنه أهمل ولم يعالج أولا بأول فكان أن تراكمت عليه الأوساخ فخبثت الأمراض فكذلك المسلمون تراكم عليهم الجهل بالتوحيد وسرت إليه أنواع من الشرك وأكثرهم لا يشعرون .

وإن من واجب الدعاة إلى الإسلام الدعوة إلى التوحيد والقضاء على الشرك مهما تطورت مظاهره وأشكاله فدعوة التوحيد ثابتة وهى الأصل والمنطلق والله المستعان ؟

محمد عبد الرحمن العامودى

المدينة المنورة

معهد إعداد المعلمين

نظرة على التعديل المقترح لقانون الأحوال الشخصية

بقلم الأستاذ توفيق على وهبه
مدير الشئون القانونية
بتفتيش عام التجـــارب

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً » صدق الله العظيم

ينص الدستور الدائم على أن الشريعة الإسلامية مصدر أساسى للتشريع ، وتطبيقاً لهذا النص الدستورى يجب على الدولة ممثلة فى السلطة التشريعية [مجلس الشعب] ، والسلطة التنفيذية وتمثلها [وزارة العدل] أن تعيد النظر فى القوانين القائمة وتعديلها طبقاً لمبادىء الشريعة الإسلامية .

وتطبيق الشريعة الذى طالبنا وطالب الكثيرون منذ زمن بعيد — ولا نزال نطالب بتطبيقه — ليس المقصود منه تطبيق بعضها وترك البعض الآخر ، ولكننا نطالب بتطبيق الإسلام ككل ، سواء فى ذلك العقيدة والشريعة ، لأننا إذا طبقنا البعض وتركنا البعض لا نكون مطبقين للاسلام ، وقد نسىء إلى ديننا ونحن نظن أننا نسير على هديه .

إننا إذا طبقنا العقوبات مثلا ، ونسينا الناحية الاجتماعية والاقتصادية قد نضر أكثر مما ننفع ، فالسارق الذى نقطع يده قبل أن نؤمن له مصدر رزقه نكون قد ظلمناه ، لأن تعطيله وعدم وجود العمل المناسب له قد يدفعه إلى ارتكاب جريمته ، فالإسلام يطالب بقيام مجتمع فاضل قوى متماسك ، وقد رسم لنا منهج هذا المجتمع وعلينا نحن أن نطبق هذا المنهج ونسير عليه .

إننا نطالب مجلس الشعب بصفته الهيئة التشريعية أن يبدأ فوراً فى تعديل القوانين طبقاً للشريعة الإسلامية ، حيث إنه لا يطبق من هذه الشريعة إلا قوانين الميراث

والأحوال الشخصية وما يتعلق بها . . . أما باقي القوانين فهي منقولة عن الدول الأجنبية التي تخالف عقيدتها عقيدتنا ، وتختلف ظروفها وأخلاقها عن ظروف مجتمعنا وأخلاقياته .

وبمناسبة الحديث عن قوانين الأحوال الشخصية فإن الاقتراح المعروض حاليا لتعديل القانون القائم قد ركز على ثلاث نقاط أساسية هي :

١ — منع الطلاق بالإرادة المنفردة وجعله أمام القاضي .

٢ — منع تعدد الزوجات ، وقصره على الحالات التي يراها القاضي .

٣ — النفقـــــة .

وقبل أن نتعرض لمناقشة هذه النقاط وبيان وجه الصواب والخطأ فيها نود أن نوجه النظر إلى ما يأتي :

(أ) ما تشيعه وسائل الإعلام المختلفة وبعض الكتاب عما يسمى مشروع قانون الأحوال الشخصية المقدم للجنة التشريعية بمجلس الشعب خطأ فادح ، وأكاد أقول إنه خطأ مقصود لإثارة الفتنة بين أفراد المجتمع وتصوير الوضع على أنه قضية رجل وامرأة .

وحقيقة الأمر في الموضوع أن المقدم للجنة التشريعية ليس مشروع قانون ، ولكنه مجرد اقتراح مقدم من وزارة الشئون الاجتماعية بتعديل قانون الأحوال الشخصية ، وهذا الاقتراح لم يعرض حتى الآن على مجلس الوزراء حتى يقال إنه مشروع قانون . ولكن البعض في وسائل الإعلام روج بشدة لهذا الاقتراح ونشره على أوسع نطاق ، وبكل الطرق سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة ، بما يدخل في ذهن الشعب أن الوزارة قدمت مشروع قانون للأحوال الشخصية ، وأن مجلس الشعب سوف يناقش هذا المشروع . ولكن الموضوع لا يخرج عن كونه مجرد اقتراح بصرف النظر عن مسايرة

أو مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية . والغريب فى الموضوع حقاً هو موقف وسائل الإعلام الذى يدعو إلى الريبة ، وأن من حق الشعب أن يعرف الهدف الذى تسعى وراءه هذه الوسائل والمسئول عن البلبلة التى نشأت عن هذه التصرفات .

إننا نطالب الجهات المسئولة عن هذه الأجهزة ، وعلى رأسها الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يملكها أن يجرى تحقيقاً عن هذه التصرفات وأن يكشف عن المسئول عنها والذين أرادوا أن يخلقوا مشكلات للأسرة والمجتمع نحن فى غنى عنها .

(ب) إننى على ثقة من أن السيد رئيس الجمهورية ، لا يمكن أن يوافق على إصدار قانون يخالف تعاليم الإسلام وأحكامه ، وهو الذى ينادى بدولة العلم والإيمان ، بل واثق من أن سيادته سيولى تطبيق الشريعة فى كل نواحى الحياة فى مصر اهتماماً خاصاً تطبيقاً لنصوص الدستور وبما هو معروف عنه من تقوى وتدين .

(حـ) سبق أن قدمت عدة اقتراحات مماثلة لتعديل القانون ووقف رجال الدين ضدها وبينوا فسادها ولم يكتب لها الظهور ، لكن ماتلبث هذه المقترحات أن تعود بين الحين والآخر مضافاً إليها مقترحات أخرى لاتقل عنها فساداً .

وقد ناقش مجمع البحوث الإسلامية فى دورته (مايو ١٩٦٥) اقتراحاً بشأن تقييد الطلاق وتعدد الزوجات وأن يكون التعدد بحكم من القاضى وانتهى إلى رفض هذا الاقتراح لمخالفته لأحكام الشريعة الإسلامية .

(ء) يجب أن تكون المشروعات المقدمة لتعديل القوانين مطابقة لأحكام الشريعة وأن تقدمها جهات لها اختصاصها الشرعى والإسلامى ، مثل مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ووزارة الأوقاف ، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، والهيئات الدينية المختلفة ، أو على الأقل تشارك هذه الجهات فى إعداد هذه القوانين أو تعرض عليها بعد إعدادها لبيان حكم الشريعة فيها ومدى مطابقتها لها .

(يتبع)

نظرة الاسلام إلي الخير والشر

للأستاذ

أحمد جمال العمري : ماجستير فى الآداب

من القضايا الأزلية التى حيرت الإنسان وأرهقته ، وبددت قواه العقلية ومزقته : قضية الخير والشر .

• هل الخير موجود ؟ وإذا كان موجوداً فلماذا وجد الشر ؟ وما مصدره ؟ .

• هل الخير غاية ؟ فإذا كان كذلك . . فلماذا ينتصر عليه الشر أحياناً ؟ .

هذه المشكلة العويصة ألهبت فكر الانسان منذ فجر الإنسانية ، ورمته بين أنياب الصراع ، تعتصره الهواجس ، وتحطمه الشكوك والظنون ، وهو حائر حائر ، لا يجد لنفسه دليلا ولا مرشداً .

وكان مما زاد الأمر تعقيداً أمام الانسان فى القديم ، أن المعتقدات التى اعتنقها لم تستطع أن تجد حلا لمشكلته هذه .

• كانت هناك عقيدة ترى أن الانسان عبد لقوى مسيطرة هى قوى الشر ، وأن الخير يقف عاجزاً أمام طغيانها لا قبل له بمواجهتها ، لذلك فلا سبيل له إلا الاستسلام لها أو ترضيتها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فان استخلص من براثنها شيئاً فإلى حين ، إذ لا ثابت أن تستعبده وتلتهمه ، لأن قانون هذا الوجود فى نظره هو الفناء لا البقاء ، ومن هنا لجأ الانسان القديم إلى عبادة آلهة الشر استرضاء لها وخوفاً من نقمتها .

وعقيدة أخرى رأى فيها أن الوجود ما هو إلا حرب سجال ، وصراع دائم بين الخير والشر ، إن كسب الخير حينا ، خسر أحياناً ، وهى معركة لا تنتهى ولا تحقق شيئاً ، فما يبنى يهدم . وما يهدم يبنى ، وما يزول يعود للظهور ، وما يظهر يختفى من جديد ، والحياة صراع ، وعلى الانسان أن يقاوم ، فهذا قدره .

وعقيده ثالثة ـ وجدت عند المجوس ، عبدة النار ، ترى أن الخير والشر عنصران متكاملان متلازمان ، كالليل والنهار ، كالنور والظلمة ، لا تكتمل الحياة بدونهما فالخير ينقصه الشر فيأتي خير أكمل ، لينقض من جديد ، ولا معنى للحياة إلا بنقص أحدهما للآخر ، وتعاقبهما لتكون الحياة أكمل . وهكذا صراعات وتخبطات .

ثم جاء الإسلام وغمر بنوره سماء البشرية فأضاء جوانبها وأشاع فيها الأمان . نظر الإسلام إلى الإنسان نظرة موضوعية . . نظر إلى نفسه بوصفها مستودع قوى الكون الذي يعيش في أرجائه ، وأقوى مما فيه ، فنفس الإنسان أقوى من الوجود المادي الذي حوله ببحاره وأنهاره ، وأبراجه وزلازله ، وسيوله وأعاصيره . .

فالمؤمن في الاسلام ـ الذي يطيع ربه ـ يكون ربانياً ، وربط القرآن بين النفس الإنسانية ، وآفاق الكون نفسه ، فهما قرينان في أكثر من موضع ، وفي أكثر من آية : من مثل قوله تعالى :

« وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون (١) » .

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم (٢) » .

ومن هنا رفض الاسلام كل العقائد اللادينية وسفهها ، وأثبت زيفها وضلالها فليس هناك شر محض ، ولا خير محض ، بل لعله لا شر قط ، ولا خير قط ، وإنما نفس الانسان تولد صالحة مؤمنة ، فإن ضلت فهي ضالة كافرة .

ولعل ذلك أيضاً من الأسباب الجوهرية التي من أجلها لم يأت في دستورنا الرباني ، ذكر للخير والشر في موضع من المواضع ، إلا كان ذكر الخير سابقاً على ذكر الشر ، كما تسبق الحسنات السيئات ، وكما يسبق الثواب العقاب .

وهذا لعمري منهج ثابت في كلام الله خالق العباد وواهب الحياة .

فنظرة فاحصة إلى آيات القرآن الكريم ـ في السور القصار أو الطوال على السواء ـ

---

(١) سورة الذاريات آيتا ٢٠ و ٢١ (٢) سورة فصلت : من الآية ٥٣

نرى أن ربنا تجلت حكمته وعظمت مشيئته دائما يقدم الخير على الشر :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »(١)

« لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين »(٢) .

« إن سعيكم لشتى ، فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى(٣) » .

« قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها(٤) » .

« إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم(٥) » .

« سيذكر من يخشى ، ويتجنبها الأشقى(٦) » .

فالخير دائماً متقدم على الشر ، والتبشير سابق على التنفير ، والثواب قبل العقاب والجنة سابقة على النار ، وذلك كله منهج ثابت يتفق مع طبيعة الإسلام باعتباره دين الانسانية ، الناسخ لكل الأديان والشرائع التى قبله ، المكمل لرسالاتها ، المتمم لأهدافها « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

إذن فصورة الانسان فى نظر الاسلام ـ صورة خيرة ـ ونظرة الاسلام إلى الإنسان أنه خير بطبعه وجبلته وما خلق عليه ، بدلالة قوله تعالى :

« لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » ، والشر عنصر طارىء ، عليه ، دخيل على حياته وأفعاله ، لم يخلق به ، بدلالة قوله تعالى « ثم رددناه أسفل سافلين » أى نتيجة لخطئه وذلله وسوء أفعاله رددناه إلى أسفل السافلين ، بعد أن كنا قد خلقناه فى أحسن تقويم . وهكذا يؤكد القرآن الكريم ـ أن الانسان خلق صالحاً قابلا للخير قادراً على إتيانه والسير فى طريقه ؛ فاذا سقط فى هوة المعصية والآثام ، فلانه لم يقاوم الغوايات التى أتته من خارج نفسه ، من خارج ذاته ، لذلك أمر بأن يتحصن أمامها بالإيمان أو بالتقوى والعمل الصالح ليعصماه من التردى فيها .

---

(١) سورة الزلزلة آية ٧ ، ٨
(٢) سورة التين الآية ٤ ، ٥
(٣) سورة الليل آية ٤ ـ ١٠
(٤) سورة الشمس آية ٩ ، ١٠
(٥) سورة الانفطار آية ١٣ ، ١٤
(٦) سورة الأعلى آية ١٠ ، ١١

وقصة آدم عليه السلام .. وهى قصة الخلق أجمعين ـ نجد فيها أن آدم خلق خيراً وعاش فى جنة الله عيشة راغدة ، ينعم بخيراتها ولذائذها لولا أن الشيطان تصدى له ولزوجه فأغواهما فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم ، قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون(١) .

وهذه الأدوار كلها هى ما أجملتها آيات سورة التين : « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددناه فى أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » .

إذن ـ فالخير ـ من نظر الإسلام ـ هو أصل الإنسان ، وفطرته التى فطر عليها ، إلا أنه ضعيف حينا ، متردد حينا آخر ، يدور حوله الشيطان ، يتوعده ويتهدده ، بالغواية ، فان تبعه فقد ردى إلى أسفل سافلين ، أما من استعصى عليه ، فله أجر غير ممنون . ومن ثم كان من الطبيعى أن تسبق الإشارة إلى الخير ، الإشارة إلى الشر ، والبشرى بالجنة ، الإنذار بالنار ، وثواب الصالحين المحسنين ، عقاب الكافرين المذنبين لسبب هام ـ إن القرآن لو افترض أن الشر أصل الإنسان وفطرته التى فطر عليها ، لكانت الدعوة إلى الدين من العبث .

إذ كيف ينسلخ الإنسان من طبيعة خلق عليها ؟

ومن هنا كانت حكمته ـ عز شأنه ـ وكان منهجه فى كتابه الحكيم ـ قائما على تقديم الخير على الشر .

فنهج القرآن أخلاقى ، وهدفه تربوى ، ولا أمل فى دعوة أو نصيحة ، ولا دين أو عقيدة ـ إلا إذا اطمأن الإنسان ، أن أبواب الخير مفتوحة أبداً ، وأن المسعى من أجل الآخرة ، والمثل الأعلى متيسر على الدوام . وهذا ما فعله دستورنا الربانى ، ونجح فى تصويره كأعظم وأروع ما يكون النجاح .

---

(١) البقرة الآية ٣٦ ـ ٣٨

الطلاق بين الشريعة والواقع

لفضيلة الأستاذ محمد جمعة العدوى

الأسرة هى اللبنة الحقيقية التى يقوم عليها المجتمع ، والأمة العظيمة هى تلك التى ترفرف على بيوتها السعادة والهناءة ، فينشأ الأولاد نشأة مؤمنة بعيدة عن العقد والانحرافات .

ودينا الحنيف يعطى مجموعة من الضمانات إن تحققت فلاشك أنها تخلق البيت السعيد.

وأول هذه الضمانات : هى أن الحياة الزوجية لاتقوم على أساس من نداء الجسد وإشباع الغريزة فإن الغريزة الجنسية وحدها لايمكن أن تقيم بيتاً سعيداً لأنها لذة عارضة إذا انقاد لها الإنسان فهى لاشك ستحوله إلى حيوان يبحث عن لذته فقط . لكنها فى نظر الإسلام أسمى من ذلك إنها مودة وسكن ورحمة وحياة مشتركة فى الألم والأمل . . يقرر القرآن تلك الحقيقة فيقول : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

أما الضمان الثانى : فهو الكيفية التى يتم بها اختيار الشريكة والشريك . . إن الزوجين حين يضمهما سقف واحد . يسلم كل منهما للآخر مصيره ويأمنه على حياته . وليس ذلك فقط بل إن نتاج هذا البيت من الأولاد لابد أن ترعاه يد أمينة قادرة على العطاء الدافع : وذلك لايتيسر إلا لمن منحهم الله الاستقامة والتقوى. ومن هنا لابد أن يقوم الاختيار أولا على أساس من الأخلاق والدين وإلى ذلك يؤكد رسول الله فيقول : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يردين ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين » ، ويعطى الرسول ﷺ لأولياء البنات الأساس فى اختيار الشريك فيقول « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

أما الضمان الثالث : فهو أن الإسلام لا يهمل الميول والرغبات والعواطف . فالبنت ليست متاعاً يباع ويشترى ، لكن لابد أن ننظر إلى ميولها فيمن تختاره . فمن حقها أن ترفض طالما أن هذا الرفض موضوعى « يروى ابن عباس رضى الله عنه أن جارية بكراً أتت رسول الله ﷺ فذكرت له أن أباها زوجها وهى كارهة فخيرها النبى » ويعطى نبينا ﷺ للميول والرغبات قاعدة عامة فيقول « البكر تستأذن فى نفسها وإذنها صماتها » .

والضمان الرابع : أسهبت فيه كتب الفقه . وهو أن ينظر الإنسان إلى نفسه قبل أن يفكر فى الزواج .. هل يملك القدرة على رعاية زوجته ؟ . ومن هنا أكد الفقهاء على شرطين : القدرة على النفقة والسلامة من العيوب التى تجعله عاجزاً عن ممارسة الحياة الزوجية ، ويحدد ذلك قول رسول الله ﷺ « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج » .

هذه الضمانات إن وجدت فهى لاشك كفيلة بمنح الحياة المطمئنة للزوجين . وهى إن وجدت فلن تدع فرصة للتفكير فى الطلاق عند وجود الاستفزازات الطارئة التى لابخلو منها بيت . لكن الحياة الزوجية قد يطرأ عليها مايعكر صفوها ، وقد يكون ذلك مرجعه إلى سوء فهم بين الزوجين أو وجود عوامل خارجية يكتشفها الزوجان بعد ذلك ، وقد يكون منها تغير نظرة الزوج إلى زوجته ، بسبب اختلاطه بالآخرين حين يرى بحكم عشرته جوانب سلبية . بينما يرى فى الأخريات جوانب كاملة ومبهرة لايظهر غيرها فى العادة ، فيبهره هذا الجديد ثم ينعكس ذلك على معاملته لزوجته .

ولقد وقف الإسلام من هذه المشاكل موقفين : الموقف الأول : هو القضاء على أسبابها من حيث المبدأ حين قرر مبدأ يلتزمه كل مسلم هو (غض البصر) لأن غض البصر فى حد ذاته يجعل الإنسان قانعاً بما بين يديه ولا تتأتى له فرصة للمقارنة . . كذلك فإن غض البصر لايحرك فيه مثيرات جنسية إلا فى حدود بيته فقط ، ومن هنا جاء توجيه الله سبحانه وتعالى إلى المؤمنين والمؤمنات (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ... وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) .

ويدخل فى منع المثيرات الخارجية عن الرجل ما حدد فى قوله تعالى : (يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) .

والموقف الثانى : هو افتراض وجودها .. هنا يقول له الإسلام : إن الكمال فى عالم المرأة لا وجود له . ومن الواجب على الإنسان ألا يدين المرأة بما يكرهه فيها ، بل لا بد أن ينظر إليها ككل . فيه ما يبغض وفيه ما يسر ، يؤكد رسولنا ذلك المعنى فيقول : « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها خلقا آخر » .

ويلفت الله الأنظار إلى أن تقدير الإنسان الخير لنفسه لا يتأتى بحكمه على الشىء بالحب أو البغض ، بل هناك شىء فى تقدير الله يجهله الإنسان ، وذلك يتمثل فى قوله تعالى (فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) .

وقد تكون هذه الكراهة من الزوج مردها الرغبة فى التغيير ، والنفور من زوجته التى لم يعد يألف فيها هذا الجمال الذى استهلك ، فهو تواق إلى تذوق صنف آخر من النساء يحب فيه ما افتقده فى زوجته ، ورسولنا يقول عن هذا الصنف من الرجال « لعن الله كل ذواق مطلاق » ، لأن مثله الأنى السبب الذى من أجله قامت الحياة الزوجية ، وهى أنها سكن ومودة ورحمة ، وينصح رسولنا هذا الطراز من الناس الذين يستهويهم غذاء الجسد فى غير زوجاتهم أن يطفىء هذا اللهيب ولا يذعه يتأجج فيقول : « إذا رأى أحدكم امرأة فأعجبه حسنها فليأت زوجه فإن فيها مثل الذى فيها » .

هذه هى المرحلة الأولى من مراحل الخلاف بين الزوجين ، ونظرة الإسلام إليها ، وتأتى المرحلة الثانية ، وهو ما يسمى بنشوز المرأة أى عصيان الزوج بأى صورة من الصور ، والإسلام يعترف من البداية أن النساء ناقصات عقل ودين وأن التعامل معهن يجب أن يكون على هذا الأساس ، وهذا هو الواقع البديهى الذى يقره الجميع ، فنشوزها لا يوجب بتر الحياة الزوجية أو الحكم عليها بالفشل ، ولكن قوامة الرجل على المرأة التى منحها له الإسلام توجب عليه أن يترفق فى العلاج ، وهذا العلاج حدده الله تعالى

بقوله : (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن) أى بكتاب الله وسنة رسوله كأن يقول لها ماقال رسول الله : « أيما امرأة باتت هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح » (لاتمنعه نفسها ولو كانت على ظهر قتب) أى بردعة .

والتدرج الثانى (واهجروهن فى المضاجع) ، فإن من النساء من يشق عليها أن يتجاهلها زوجها أو يهجر مضجعها ، فإن ذلك فى حد ذاته صغار ومذلة لها قد لاتقبل عليه مرة أخرى ، وفوق ذلك فإن الهجر يهيج فيها عواطفها فإذا كان الخلاف طارئا فإنها ستسعى إليه ، أو لاتصده إذا أقبل عليها .

أما التدرج الثالث فهو : قوله تعالى : (واضربوهن) ضربا غير مبرح فإن من النساء من يؤدبها الضرب ويزجرها . لكن ذلك كله قد لايأتى بنتيجة .. هنا يأتى دور المرحلة الثالثة . وهى التى توحى أن الخلاف بين الزوجين فى تصاعد . والزوج بمفرده عاجز عن العلاج لأن الخلاف أكبر منه ، ولابد من نقله خارج محيط الزوجين . والقرآن يحدد طبيعة المرحلة بقوله تعالى (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) .. والجمهور من العلماء على أن الخطاب فى (خفتم) للأمراء والحكام .. والأمراء والحكام عليهم أن يقرروا طبيعة المرحلة التى تستدعى (السرية والكتمان) ، ولن يقدر بعة الموقف إلا أهل الطرفين . ومن هنا كان الشرط (حكما من أهله وحكما من أهلها) وهؤلاء الوسطاء من الأهل يحذرهم رسولنا عليه الصلاة والسلام بقوله « ليس منا من خبب — أفسد — امرأة على زوجها » .

ويدخل فى هذه المرحلة نشوز الرجل من زوجته وإعراضه عنها ، ومن أسبابه غالبا برود العلاقة الزوجية بفقدان عنصر الحب لسبب من الأسباب . والإسلام فى مثل هذه الحالات يذكر الرجل الناشز بخلق الوفاء الذى يجب أن يتحلى به كل مسلم حتى لاينكر ماضيه مع من عاشرته فى السراء والضراء .. يروى أن أبا أيوب الأنصارى ذهب إلى الرسول يقول له : أريد أن أطلق أم أيوب ، قال له : (إن طلاق أم أيوب لحوب) أى إثم كبير .. وذهب أحد الرجال إلى عمر رضى الله عنه وقال له : أريد أن أطلق امرأتى

فسأله لماذا ؟ قال : لأنى لا أحبها فرد عمر : ويحك أو كل البيوت بنيت على الحب ؟ فأين التراحم والوفاء ؟

والقرآن يتحدث عن نشوز الرجل فى قوله تعالى : (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، وأحضرت الأنفس الشح) ويعجبنى فى ذلك ما ذكره القرطبى حين يقول : « إخبار بأن الشح فى كل أحد وأن الإنسان لابد أن يشح بحكم خلقته وجبلته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره »، (وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) ، وهذا خطاب للأزواج أى إن تحسنوا وتتقوا فى عشرة النساء بإقامتكم عليهن مع كراهتكم لصحبتهن واتقاء ظلمهن فهو أفضل لكم .

حكمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

(يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون) .

(واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) .

(واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون - الأنفال) .